

رسالة

تحذير الجمهور

من

مفاسد شهادة الزور

تأليف

الشيخ احمد بن عمر المحمصاني البيروتي الازهري

« الطبعة الثانية »

طبعت بنفقة

الحاج مصطفى الغندور

مطبعة الاقبال سوق سرسق : بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر النبيين وآل كل وجميع الصالحين (اما بعد) فيقول الفقير لمولاه الغني احمد بن عمر المحمصاني البيروتي الازهري قد طلب مني بعض ذوي الحمية الدينية في مدينة بيروت ان اكتب رسالة في بيان مفاسد شهادة الزور ومايترتب عليها من المضارّ وان اذكر ماورد من الآيات والاحاديث في هذا الشأن فاجبته لذلك عملا بواجب النصيحة الدينية ولما رواه الامام مسلم ابن الحجاج في صحيحه عن سيدنا ابي رقية تميم ابن اوس الداري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم

فالرجاء ممن يطلع عليها ان يتقبلها بقبولا حسنا ويتخذها وسيلة لتنبيه العامة الى اجتناب تلك البلية الطامة ويذكر بها من له قلب او القى السمع وهو شهيد

وقد سميت هذه الرسالة (تحذير الجمهور من مفاسد شهادة الزور) ورتبتها على مقدمة واربعة فصول وخاتمة واسأله تعالى ان يجعلها خالصة لوجهه وان ينفع بها ويوفقنا لما فيه خير الامة والعمل لاحياء السنة واماتة البدعة انه سميع مجيب وما توفيقي واعتصامي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

مقدمة

اعلم يا اخي هداني الله واياك الى طريق الخير والرشاد ان شهادة الزور جريمة عظيمة الشر جسيمة الضرر فكم ضاع بها من حق كان ثابتاً ونشأت عنها معضلات ومشكلات تفاقم خطبها واشتد كربها وكم هدرت بسببها دماء وغلت من اجلها مراجل الشحناء والبغضاء وكثيراً ما ايقظت الفتنة واعظمت المحنة وفصمت عرى الوحدة وربما ادت الى تقاطع ذوي الارحام وتهديد السلام بين الافراد والاقوام بل وبدّلت الامن خوفا والوفاق خلفا فكان من وراء ذلك كله شر عظيم وخطر جسيم

عرف هذا الامم السابقة فشددوا في عقوبة مرتكبها وبالغوا في التنكيل به وحكموا بانه عدو للامة بتمامها وقضى عليه بعض الامم كالرومانيين بالاعدام وغلوا في شأن التزوير حتى عدوا من المزورين من اخفى وصية المتوفي او اضاعها بل كل امرىء فعل شيئا يدل على غش او خراب ذمة وكانت عقوبتهم للاحرار بالنفي الى مكان حصين مع مصادرتهم في اموالهم كلها وعقوبة الرقيق هي الاعدام(١) ثم ترقت مدارك الامم بعد ذلك فتعدلت العقوبات بحسب اثار الجريمة وعظيم خطرها

---

(١) هذه الجملة مأخوذة عمناها عن رسالة التزوير في الاوراق لاحمد فتحي باشا زغلول المصري

جاء الاسلام (وهو الكافل للسعادتين الدنيوية والاخروية والشفاء لامراض الانسانية) فعدَّ شهادة الزور من اعظم الكبائر واشدها ضرراً وحذر من مرتكبيها وجعلهم من اكبر المجرمين وأجرإ المفسدين وعرفهم سوء منقلبهم وعاقبة بغيهم بما فيه عبرة لكل معتبر كما سيتلى عليك

الفصل الاول

فيما جاء من الآيات والاحاديث المتعلقة بشهادة الزور

من المناسب ان نبين معنى الزور في اللغة حتى يكون المطلع على بصيرة فيما ينظر فيه وحتى يعلم ان اصحاب المعجمات اللغوية لم يهملوا تفظيع حال شهادة الزور حتى في كلامهم على المعنى اللغوي

جاء في لسان العرب للامام محمد ابن منظور الافريقي ما نصه والزور الكذب والباطل وقيل شهادة الباطل وقول الكذب (الى ان قال) وفي الحديث المتشبع (١) بما لم يُعط كلابس ثوبي زور .

---

(١) هو الذي يدعي بما ليس فيه ويحب ان يحمد بما لم يفعل وهذا الداء قد فشا بين كثير ممن زين لهم الشيطان اعمالهم وغرتهم الاماني الباطلة وقد اخبرالله عز وجل عن هوءلاء بقوله (لاتحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم) ودواء هوءلاء هو الرجوع الى الله ومحاسبة النفس وطرح الغرور والاخذ بالعلم على وجهه الصحيح والتمسك بالعمل الصالح والنصح والاخلاص والتقوى في جميع ذلك كله والله ولي الموءمنين

الزور الكذب والباطل والتهمة وقد تكرر ذكر شهادة الزور في الحديث وهي من الكبائر فمنها قوله (صلى الله عليه وسلم) عدلت شهادة الزور الشرك بالله وانما عادلته لقوله تعالى (والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر) ثم قال بعدها (والذين لايشهدون الزور)

وقد جاء لفظ الزور في القرآن الكريم في اربعة مواضع منها موضعان يتعلقان بشهادة الزور (فالاول) قوله تعالى في سورة الحج (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حُنفاء لله غير مشركين به)

وللمفسرين في قول الزور في هذه الآية وجوه منها انه قولهم هذا حلال وهذا حرام ومنها انه شهادة الزور رفعوا هذا التفسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها انه الكذب والبهتان

(والثاني) قوله تعالى في سورة الفرقان (والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما)

قال بعض المفسرين لا يشهدون شهادة الزور وقال آخرون لا يشهدون الشرك وقال آخرون هو قول الكذب وقال بعضهم هو الغناء وقال ابن جرير الطبرى ان اولى الاقوال بالصواب ان يقال والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركاً ولا غناء ولا كذباً ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور لان الله عم في وصفه اياهم انهم لا يشهدون الزور فلا ينبغي ان يخصّ من ذلك شيء الا بحجة يجب التسليم لها من خبر او عقل

واما الاحاديث

فقد روى البخاري ومسلم والامام احمد عن سيدنا انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر او سئل عن الكبائر فقال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال الا انبئكم باكبر الكبائر : قول الزور او قال شهادة الزور

وعن ابي بكرة نفيع بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس (١) وقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

وروي الامام ابن ماجه عن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار . وفي هذا الحديث وعيد شديد لشاهد الزور حيث اوجب الله له النار قبل ان ينتقل من مكانه

---

(١) هذا يشعر باهتمامه صلى الله عليه وسلم بذلك حتى جلس بعد ان كان متكئاً ويفيد ذلك تاكيد تحريمه وعظيم قبحه وسبب الاهتمام بشهادة الزور كونها اسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها اكثر فان الاشراك ينبو عنه قلب المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع واما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج الى الاهتمام به وليس ذلك لعظمه بالنسبة الى ماذكر معه من الاشراك قطعاً بل لكون مفسدته الي الغير بخلاف الاشراك فان مفسدته مقصورة عليه غالباً اه من نيل الاوطار للامام الشوكاني

ولعل ذلك مع عدم التوبة اما لو تاب واكذب نفسه قبل العمل بشهادته فالله يقبل التوبة عن عباده

وروى الحاكم والديلمي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من زين نفسه للقضاة بشهادة الزور زيّنه الله تعالى يوم القيامة بسربال من قطران والجمه بلجام من نار

وروي الامام احمد في مسنده وابن ابي الدنيا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد على مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار

وروى ابو سعيد النقاش في كتاب القضاة عن عبد الله بن جراد عن النبي صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة زور فعليه لعنة الله ومن حكم بين اثنين فلم يعدل بينهما فعليه لعنة الله

وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من مشى مع قوم يرى انه شاهد وليس بشاهد فهو شاهد زور ومن اعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع وقتال المؤمن كفرو سبابه فسوق

وعن ابن عمر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد الزور وهو يعلم



الفصل الثاني

في ذكر بعض ما جاء عن ائمة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وما ذكره بعض الفقهاء في كتبهم في حكم شاهد الزور

عن مكحول والوليد ابن ابي مالك قالا كتب عمر الى عماله في الشاهد الزور ان يضرب اربعين سوطاً وان يسخم وجهه (١) ويحلق رأسه ويطاف به ويطاول حبسه وعن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال اتى عمر بشاهد زور فوقفه يوماً الى الليل يقول هذا فلان يشهد زوراً فاعرفه فجلده ثم حبسه

وعن علي بن الحسين قال كان علي اذا اخذ شاهد زور بعثه الي عشيرته فقال ان هذا شاهد زور فاعرفوه ثم خلى سبيله

وقال العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني في كتابه رحمة الامة في اختلاف الائمة مانصه (فصل) واختلفوا في عقوبة شاهد الزور فقال ابو حنيفة لاتعزير عليه بل يوقف في قومه ويقال لهم انه شاهد زور وقال مالك والشافعي واحمد يعزر ويوقف

---

(١) وفي رواية يسحم وجهه « بالحاء » ومعناهما ان يسود مأخوذ من السخام وهو سواد القدر وقيل المراد بالتسحيم التخجيل والتفضيح ه

في قومه ويعرفون انه شاهد زور وزاد مالك فقال ويشهر (١) في الجوامع والاسواق والمجامع

وقال العلامة الشهاب احمد بن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر مانصه « الكبيرة السابعة والثامنة والثلاثون بعد الاربعمائة شهادة الزور وقبولها »

اخرج الشيخان عن ابي بكرة واسمه نفيع بن الحرث رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

وروى البخاري اكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس

والشيخان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس فقال الا انبئكم باكبر الكبائر : قول الزور او قال شهادة الزور

---

(١) التشهير بشاهد الزور وتعريف الناس بحاله من العقوبات التي تفعل في النفوس ما لا يفعله كثير من الجزاءات الاخرى وحسبك ان شاهد الزور في هذه الحالة يجتنبه الناس ويمقتونه فيكون بينهم كالجمل الاجرب ينفر منه كل من يراه ولا يطمئن اليه احد ومتى ارتفعت ثقة الناس منه خسر خسراناً مبيناً ونعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الاخرة

وابو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاث مرات ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ورواه الطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند حسن واحمد بسند رواته ثقات من شهد على مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار . وابن ماجه والحاكم وصححه لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار . والطبراني ان الطير لتضرب بمناقيرها وتحرك اذنابها من هول يوم القيامة ومايتكلم به شاهد الزور ولا يفارق قدماه الارض حتى يقذف به في النار والطبراني بسند فيه منكر الا اخبركم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان صلى الله عليه وسلم محتبياً فحل حبوته فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بطرف لسانه فقال الا وقول الزور

والطبراني بسند رجاله ثقات الا انبئكم باكبر الكبائر : الاشراك بالله ثم قرأ (ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً) وعقوق الوالدين ثم قرأ ان اشكر لي ولوالديك اليّ المصير وكان متكئاً فقعد فقال الا وقول الزور

(تنبيه) عدّ هذين (يعني شهادة الزور وقبولها) هو ماصرحوا به في الاولى وقياسها في الثانية . وشهادة الزور هي ان يشهد بما لايتحققه قال العز بن عبد السلام وعدها كبيرة ظاهر ان وقع في

مال خطير فان وقع في مال قليل كزبيبة او تمرة فمشكل فيجوز ان تجعل من الكبائر فطماً عن هذه المفاسد كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر وان لم تتحقق المفسدة ويجوز ان يضبط ذلك المال بنصاب السرقة وقال و كذلك القول في اكل مال اليتيم وقد مر عن ابن عبد السلام انه حكى الاجماع على ان غصب الحبة وسرقتها كبيرة وهذا مؤيد للاول اعني انه لافرق في كون شهادة الزور كبيرة بين قليل المال و كثيره فطماً عن هـذه المفسدة القبيحة الشنيعة جداً ومن ثم جعلت عدلاً للشرك ووقع له صلى الله عليه وسلم عند ذكرها من الغضب وتكرير مالم يقع له عند ذكر ماهوا كبر منها كالقتل والزنا فدل ذلك على عظم امرها ومن ثم جعلت في بعض الاحاديث السابقة اكبر الكبائر انتهى باختصار قليل

وذكر الكمال ابن الهمام في كتابه فتح القدير على الهداية ان شريحاً القاضي كان يبعث بشاهد الزور الى سوقه ان كان سوقياً والى قومه ان كان غير سوقي بعد العصر اجمع ما يكونون ويقول ان شريحا يقرئكم السلام ويقول انا وجدنا هذا شاهد زور فاحذروه وحذروا الناس منه اه . وشريح كان قاضياً زمن سيدنا عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وزاحم الصحابة في الفتوى وان كان من كبار التابعين وهو شريح بن الحرث الكندي اقام في الكوفة قاضيا خمساً وسبعين سنة وتوفي سنة سبع وثمانين من الهجرة كما ذكر ابن خلكان في تاريخه واطال في ترجمته

وقال العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية في كتابه اعلام الموقعين مانصه: لاخلاف بين المسلمين ان شهادة الزور من الكبائر (ثم ذكر احاديث تقدمت الى ان قال) وفي المسند من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشوء التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الارحام وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق. وقال الحسن بن زياد اللؤلؤي

حدثنا ابو حنيفه قال كنا عند محارب بن دثار فتقدم اليه رجلان فادعى احدهما على الآخر مالاً فجحده المدعى عليه فسأله البينة فجاء رجل فشهد عليه فقال المشهود عليه لا والله الذي لا آله الا هو ما شهد علي بحق وما علمته الا رجلاً صالحاً غير هذه الزلة فانه فعل هذا لحقد كان في قلبه عليَّ وكان محارب متكئاً فاستوى جالسا ثم قال ياذا الرجل سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليأتين على الناس يوم تشيب فيه الولدان وتضع الحوامل ما في بطونها وتضرب الطير باذنابها وتضع مافي بطونها من شدة ذلك اليوم ولا ذنب عليها وان شاهد الزور لاتقار قدماه على الارض حتى يقذف به في النار فان كنت شهدت بحق فاتق الله واقم على شهادتك وان كنت شهدت بباطل فاتق الله وغط رأسك واخرج من هذا الباب وفي رواية ان الرجل قال له كنت أشهدت على شهادة وقد نسيتها ارجع فاتذكرها فانصرف ولم يشهد عليه بشيء ه بتصرف

الفصل الثالث

في بيان اضرار شهادة الزور في الشاهد نفسه وفي الهيئة الاجتماعية

قدعرفنا مما تقدم مالشاهد الزور من الوعيد الشديد والعقاب الاكيد في هذه الدنيا وفي الاخرة ولعذاب الاخرة اشد وابقى

ونحن الان نبين في هذا الفصل ما لشهادة الزور من الاضرار في نفس شاهدها وفي الهيئة الاجتماعية التي يعيش ويرتع فيها . وهذه الاضرار امور معقولة يدركها كل من تأملها وامعن في حال من يقترف تلك الجريمة الفظيمة

(فاولها) انه يتصف بالكذب ويوسم بميسم الافتراء وكفى بهما خزياً ونكالاً فان الانسان مفطور على الخير والصدق فاذا مال الى عكسها فلا تسأل عما يعتوره من الآلام النفسية والمؤذيات لاسيما اذا حاق به سؤ عمله فهنالك الخسران المبين

(وثانيها) انه يجد من ضميره موبخاً له على فساد عمله ومؤنباً شديداً يقرعه على ما اجرم واقترف وربما اعترف بما ارتكبه وقاد نفسه الى تحمل العقوبة حتى يخلص من تقريع ضميره والى هذا يشير الاثر (كاد المريب ان يقول خذوني)

ومن الاسرار العجيبة التي اودعها الله في كل انسان انه يجد هذا الوازع في نفسه كلما اقدم على امر فاسد ينبهه الى خطأه ويعرفه

سؤ منقلبه فمن صادفته العناية وكان قلبه اميل الى الصفاء والخير ارتدع عن غيه ورجع الى رشده واقلع عن قصده والى هذا الوازع النفسي الموجود في كل انسان قد اشار الشاعر الحكيم

لاترجع الانفس عن غيها　　　مالم يكن منها لها زاجر

ومن الناس من يصغي الى نداء ضميره فيعدل عن قصد الفساد والاضرار بالناس بعدان يهم بذلك وكثيراً مايظهر هذا في شاهدي الزور اذا كانوا ممن لم تسبق لهم جراءة على ذلك فان الوازع النفسي ربما يردهم الى الرشد لاسيما اذا غمرت قلوبهم خشية الله سبحانه وتعالى وتذكر الشخص منهم انه يفتضح بين الناس وتحل به العقوبة فتراه يتزلزل ويضطرب فيعدل عما صمم عليه من الشهادة الباطلة ويرجع عما قصد اليه (١) واما من طغى وبغي وران على قلبه الشر

---

(١) قرأت في جريدة من جرائد مصر نقلا عن جريدة لسان الحال التى تصدر ببيروت ان بعض المتهمين بجريمة القتل في لبنان ادعى ان لديه شاهدا يبرئه مما اتهم به وكان قد اشتري ذمة ذلك الشاهد كما يقال فلما حضر الشاهد وطلب منه اليمين فتقدم ليضع يده على القرآن الكريم وما كاد يرفعها حتى خر مغشياً عليه ولم يفق من اغمائه الا بعد ساعة ولما اراد ان ينطق بالشهادة عقل لسانه فدهش رجال المحكمة لهذا الحادث . ثم اورد اللسان حادثة رواها لمحرره بعضهم قال : انه حضر شاهدان في اثناء احدى المحاكمات في عكا ولما طلب اليهما حلف اليمين على الكتاب الكريم » وكانا شاهدي زور قبضا مالا على ذلك » تقدم احدهما وكان مسناً فلم يكد يرفع يده حتى ارتعش جسمه وتلجلج لسانه وقال « اقسم باني تناولت من فلان ٣٠ ريالا اجرة شهادة زور طلب الي تأديتها وهذه هي

وفسد مزاجه فيضعف فيه هـذا الوازع وربما انطفأت شعلته من نفسه فاذا لم تتدارکه العناية الالهية كان من الخاسرين والعياذ بالله تعالى

(وثالثها) ان شاهد الزور يحس بخذلانه بين قومه وذويه ويفقد الثقة منهم وكفى بذلك خسرانا مبينا فان الثقة بين الناس عليها مدار حياتهم وتبادل المنفعة فيما بينهم وطالما رأينا اناساً لا مال عندهم ولا رياش ولكن ما للناس فيهم من الثقة اغناهم عن الغنى وبسط لهم يد الميسرة والنفوذ فهم اغنياء اعزاء وان كانوا في هيئة الفقراء والبؤساء

(ورابعها) انه يكون في نفسه مهيناً محتقراً وفي اعين الناس اشد اهانة واحتقارا وهـذا امر محسوس ومعروف حتى ان اشد الناس احتقاراً لشاهد الزور من شهد لاجله وقد اشار الى هذا المعنى الامام الحكيم ابو محمد علي بن حزم الاندلسي في كتابه الاخلاق والسير بقوله (اول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر واول من يمقت شاهد الزور من شهد له به)

(خامسها) ان شاهد الزور يكون جرثومة من جراثيم الفساد في جسم الامة ينخر عظمها ويمتص دمها فيضعف شأنها بوجود امثاله المحاربين لفطرتهم والداعين الى الشر والفتنة فتتزعزع اركانها ويتهدم

الحقيقة » فدهشت هيأة المحكمة لذلك ثم اخرجته وطلبت رفيقه وكان شابا فاراد ان يؤدي الشهادة زورا كما لقنها فسقط مغشياً عليه ثم نطق بالحقيقة ه

بنيانها ويكون عليه وزر عمله ووزر من عمل مثل عمله كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الامام ابن ماجه عن المنذر ابن جرير عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها لا يُنقص من اجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اجورهم شيئا

(وسادسها) اذا فشت شهادة الزور بين الناس تسبب عنها ضعف ثقتهم ببعضهم بعضاً وذهبت عاطفة الاطمئنان من نفوسهم فتفتر عزائمهم عن الاعمال الخيرية والمشروعات المفيدة للنوع الانساني ويستولي عليهم اليأس والقنوط فلا يلوي احد على احد ولا يتألم لما يصيبه ولا يمد يده لمساعدته وهنالك البلاء العظيم والخطب الجسيم واذا فشا الكذب والافتراء في امة تفككت منها عرى الوحدة وتقطعت روابط الاتحاد وهيهات ان يرجى لها نجاح ابداً «١»

«١» رأيت كلمة بشأن شهادة الزور في كتاب دروس الديانة والتهذيب المطبوع بمصر فآثرت نقلها وهي شهادة الزور قد تجعل الغني فقيرا والعزيز ذليلا والبريء مظلوما شهادة الزور تزعج النفوس المطمئنة وتثير الضغائن الكامنة وتمحق المودات القديمة وتخرب البيوت العامرة وتزيل الامن على الارواح والاعراض والاموال. ترى الرجل مطمئناً في بلده متمتعا باهله واولاده ولم يقترف سيئة ثم لا تلبث ان تراه بعيدا عن اسرته مجردا من املاكه او مزجوجاً به في اعماق السجون او محكوماً عليه بالاعدام كل ذلك بسبب شهادة زور تبرع بها فاسق او جاد بها ضال . ما اقبح شهادة الزور كم خربت ديارا ويتمت اطفالا وسلبت اموالا وسفكت دماء

ذيل

اتضح لك مما تقدم هول المفاسد التي تترتب على شهادة الزور في نفس شاهدها وفي مجموع الامة الذي هو احد اعضائها ولما كانت هذه الحالة الشنعاء احد طرفي رذيلة الكذب كان طرفها الاخر هو كتمان الشهادة الصدق لانه ان كانت شهادة الزور ترمي الى احياء الباطل فكتمان الشهادة الصدق يؤدي الى اماتة الحق وانت ترى ان كليهما في المضرة والافساد سواء

من اجل ذلك هو لم تكن عناية الشريعة المطهرة بالتحذير من هذه اقل منها بالتنفير من تلك وقد ورد النهي عنها في محكم التنزيل في مواضع متعددة لمناسبات مختلفة كقوله تعالى

في سورة البقره : ١٤٠ — « ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله

« « : ٢٨٣ — ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه

وازهقت ارواحا بريئة وهتكت اعراضاً وبرأت جناة وزعزعت اركان أمن وقوضت دعائم مدنية — كثيراً ما يفتضح شاهد الزور ويتبين امره امام القضاء فيرمى في السجون ويذوق فيها عذاب الهون ولئن خفيت حاله على الحاكم فليست تخفى على الله ولا على المشهود عليه ولا على أقاربه واصدقائه الذين ينتهزون الفرص للايقاع به والانتقام منه

فعلينا ان نؤدي الشهادة على وجهها وان نحث عليها بقدر استطاعتنا حتى لانكون عرضة لعذاب الله وعقوبة القضاء وانتقام الناس ولنضع نصب اعيننا ان من شهد لنا زوراً اليوم سيشهد علينا غداً كذلك

سورة الطلاق : ٢ — واقيموا الشهادة لله

المائدة : ١٠٨—ولا نكتم شهادة الله . وغير ذلك

وقد جاء في تفسير «ولا تكتموا الشهادة» انها ندب من الله تعالى للانسان الى السعي في احياء الحق الذي يراد جحده والشهادة به لصاحبه ونهي عن كتمان الشهادة سواء عرفها صاحب الحق او لم يعرفها وشدّد في ذلك بان جعل كاتمها آثم القلب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر يدل على صحة هذا التأويل وهو قوله خير الشهود من أدى شهادته قبل ان يسئلها

تذنيب

من هو شاهد الزور . — قد يخيل للانسان ان شاهد الزور انما هو الذي يقف امام المحكمة . ويقول في قضية ما غير الحق سلباً او ايجاباً . ترى هل انحصرت هذه الرذيلة في مثل ذلك الانسان المسلوب الوجدان ؟ اللهم لا . واذاً لانحصر ضررها ولم يتطاير شررها ولكن الخطب اعمّ والمصيبة اجل لسريان هذه العلة القتالة الى مجموع الامة من مصدر اخلاقي قل ان يخلو عنه انسان يعد في الناس

لاجرم انه يمازجه احياناً شيء من ارادة الخير او تخفيف الشر وهو القليل النادر وانت ترى ان تلك العاطفة لاتصبح هدراً عن هاتيك المخالفة اما الغالب الشايع ان يتجرد عن مثل هذه الارادة

فما هو الا تنافس في باطل او عناد لمناظر او جرّ لمغنم او دفع لمغرم او غيرها من دنيء الاغراض يدوس مبتغيها الحق والصدق ليدركها وما ادراك ما ادرك ثم ما ادراك ما ادرك: حطة في نفسه وخذلاناً في امته وذلك هو الخسران المبين

لعلك تبينت من الوصف المتقدم انه ينضوي تحت هذا النوع من شهداء الزور اهل الدواوين والوجهاء بل وذوو الحيثية من السوقة الذين يؤدون الشهادات الخطية بالمعاريض الخاصة او العامة في حق خادم غير امين من خدام الامة او عامل غير صالح من عمال الحكومة او بالعكس . وناهيك بالاضرار الجسيمة والمفاسد العميمة التي تترتب على ذلك بحيث يتضاءل في جنبها كل مايترتب على شهادة الزور في الدعاوي الخاصة من الضرر الخاص مهما كان عظيماً

الاوان ضعف الادارة الذي كان يهون الامر على صاحبه بما يقيم له من الاعذار الواهية — كمقتضيات المركز وضرورات الاحوال وعدم حصول نتيجة للمخالفة او تأكد حصول مقصود الطالب شهد له ام لم يشهد واشباهها . — مما يصم النفس عن سماع صوت الضمير ويميل بالقلب عما يميل اليه من الحق لم يبق له محل الآن وقد اباحت الحرية لكل فرد الجهر برأيه في العموميات فضلا عن الخصوصيات وله من حراسة الدستور العدل مايدرأ عنه عدوان الظالمين وظلم المستبدين والله من ورائهم محيط

الفصل الرابع

في التنفير من الكذب والاعتصام بالصدق
وذكر بعض الآيات والاحاديث في ذلك

لما كانت شهادة الزور من انواع الكذب ناسب ان نورد بعض الآيات والاحاديث الواردة في التنفير منه والبعد عنه وما اوعد الله به الكاذبين ونتبع ذلك بلمعة في فضيلة الصدق وما أعده الله للصادقين

قال الله تعالى في سورة النحل (انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون) وقال تعالى (ألم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبينا) وقال عز وجل (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم)

وروى الخطيب البغدادي في المتفق عن عبد الله بن جراد قال قال ابو الدرداء يارسول الله هل يكذب المؤمن قال لايؤمن بالله ولا باليوم الاخر من اذا حدث كذب

وفي رواية ان ابا الدرداء سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يكذب المؤمن قال لا ثم أتبعها نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون

وروى ابن ماجه والنسائي عن أوسط بن اسماعيل قال سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال : اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً

وعن قيس بن ابي حازم قال سمعت ابا بكر رضي الله عنه يقول اياكم والكذب فان الكذب مجانب للايمان . وعن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال اياكم والكذب فان الكذب يهدي الي النار . وقال بعض الحكماء الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك وقال الامام ابو محمد علي بن حزم الاندلسي في كتاب الاخلاق والسير ما نصه (لا شيء اقبح من الكذب وما ظنك بعيب يكون الكفر نوعاً من انواعه فكل كفر كذب فالكذب جنس والكفر نوع تحته . والكذب متولد من الجور والجبن والجهل لان الجبن يولد مهانة النفس والكذاب مهين النفس بعيد عن عزتها المحمودة)

الاعتصام بالصدق

قال الله تعالى في سورة التوبة (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقال عزّ وجل في سورة الاحزاب (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما)

وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فانه يهدي الى البر وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيراً فتح له قفل قلبه وجعل فيه اليقين والصدق وجعل قلبه واعياً لما سلك فيه وجعل قلبه سليما ولسانه صادقاً وخليقته مستقيمة وجعل اذنه سميعة وعينه بصيرة

وقال صلى الله عليه وسلم تحروا الصدق وان رأيتم ان فيه الهلكة فان فيه النجاة واجتنبوا الكذب وان رأيتم فيه النجاة فان فيه الهلكة

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للحسن بن علي رضي الله عنهما دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الكذب ريبة والصدق طمأنينة

وقال بعض الادباء لاسيف كالحق ولا عون كالصدق ولذلك قيل من قلّ صدقه قل صديقه

وقال الله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم)

وقال عز وجل (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيما)

ويجمل بنا ان نذكر نبذة في الصدق اوردها الامام شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية في كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد صلى الله عليه وسلم وهي :

ان الله عظم مقدار الصدق وعلق سعادة الدنيا والاخرة والنجاة من شرهما به فما انجى الله من انجاه الا بالصدق ولا اهلك من اهلك الا بالكذب وقد امر الله سبحانه عباده المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين فقال (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقد قسم الله سبحانه الخلق الى قسمين سعداء واشقياء فجعل السعداء هم اهل الصدق والتصديق والاشقياء هم اهل الكذب والتكذيب وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب

واخبر سبحانه وتعالى انه لاينفع العباد يوم القيمة الا صدقهم وجعل علم المنافقين الذي تميزوا به هو الكذب في اقوالهم وافعالهم فجميع مانعاه عليهم اصله الكذب في القول والفعل فالصدق بريد الايمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه ولبه . فمضادة الكذب للايمان كمضادة الشرك للتوحيد فلا يجتمع الكذب والايمان

الا ويطرد احدهما صاحبه ويستقر موضعه والله سبحانه انجى الثلاثة بصدقهم (١) واهلك غيرهم من المتخلفين بكذبهم فما انعم الله على عبد من نعمة بعد الاسلام افضل من الصدق الذي هو غذاء الاسلام وحياته ولا ابتلاه ببلية اعظم من الكذب الذي هو مرض الاسلام وفساده . انتهى ببعض تصرف

وقد رأيت ان اختم هذا الفصل برسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما وهي المعروفة برسالة القضاء ومعاني الاحكام وعليها احتذاء قضاة الاسلام وقد ذكرها كثير من العلماء وصدروا بها كتبهم ومن اجلهم العلامة شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ هجرية وهذه الرسالة اصل فيما تضمنته من فصول القضاء وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

من عمر امير المؤمنين الى ابي موسى الاشعري سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا انفاذ له . سوّ بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا ييأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف في حيفك .

«١» وهم المذكورون في الآية الكريمة لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية

البينة على المدعي واليمين على من انكر . والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً او حرّم حلالا . لا يمنعك قضاءٌ قضيته بالامس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه رشدك ان تراجع الحق فان الحق ومراجعته خيرٌ من الباطل والتمادي فيه . والفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما لا يبلغك في الكتاب والسنة . اعرف الامثال والاشكال وقس الامور عند ذلك واعمد الى احبها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى . اجعل للمدعي حقاً غائبا او بينة اجلاً ينتهي اليه فان احضر بينة اخذت بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك اجلى للعمى وابلغ في العذر . والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد او مجرّباً عليه شهادة زور او ظنيناً في ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرء عنكم بالبينات والايمان واياك والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم عند الخصومات في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يصلح ما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله منه شانه الله فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام

قال العلامة ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه اصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتي احوج شيء اليه والى تأمله والتفقه فيه ه

خاتمة

تشتمل على آيات كريمة واحاديث جليلة ونصائح مفيدة

قال الله تعالى في سورة الاسراء «وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

وفيها «ايضاً ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا

وقال عز وجل في سورة ق

ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

وقال تعالى في سورة لقمان

يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي والد عن ولده ولامولود هو جازٍ عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

وقال عز من قائل في سورة فاطر

يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله

يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون

وقال سبحانه فيها

يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

وقال عز شأنه في سورة الحجرات

ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير

وينبغي للمسلم ان يكون همه وقصده دائما في جميع شؤونه اطاعته لله ورضوانه والبعد عما يدنسه من المعاصي والموبقات وان يعمل لاتباع ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويجتنب الابتداع فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع وليلزم التقوى فانها العماد والسبب الاقوى وهي وصية الله الينا والى الامم من قبلنا قال تعالى « ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وايا كم ان اتقوا الله

واعلم ياأخي ان جماع الخير كله في تقوى الله عز وجل واعتزال شرور الناس ومن حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه . وقد قيل ان العاقل لاينبغي ان يرى الا ساعياً في تحصيل حسنة لمعاده او درهم لمعاشه فكيف به مع ذلك اذا كان مؤمناً عالماً بما اعدّ الله له من ثواب وعقاب على الطاعة والمعصية

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اعز

الناس فليتق الله ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده ومن سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله

وقال سيدنا عليٌ بن ابي طالب رضي الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجدٌ ذلك كله

وقال رسول الله صلى الله وسلم امرني ربي بتسع الاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضاء والقصد في الفقر والغنى وان اعفو عمن ظلمني وأصل من قطعني واعطي من حرمني وان يكون نطقي ذكراً وصمتي فكراً ونظري عبرة

ومن كلام امامنا الشافعي رضي الله عنه من لم تعزه التقوى فلا عز له ورحم الله القائل

لكل شيء اذا ضيعته عوض   وليس لله ان ضيعتَ من عوض

والقائل

اذا ابقت الدنيا على المرء دينه   فما فاته منها فليس بضائر

ولاخير في حياة لاتُصرف في طاعة الله والعمل لما يرضيه

وواجب على اهل العلم ان يصدعوا بالحق ويقودوا الناس الى طريق الرشاد ويقفوا في سبيل المنكرات والمفسدات ويحذروا الناس مما يضرهم ويهلكهم ومن شيم العالم ان يكون عارفاً بزمانه مقبلا على شأنه وكل من لا يشعر من نفسه في اي عمل كان أنه

مرتبط بامة يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها فهو اما مفرّط او غاش او مقصر وقد قال سيدنا عليٌّ كرم الله وجهه ورضي عنه من قصر في العمل ابتلي بالهم (اي الحسرة على فوات الثمرة) ولا حاجة لله فيمن ليس لله في ماله ونفسه نصيب . وقال رضي الله عنه قيمة كل امرىء ما يحسنه . وفقنا الله جميعا لما فيه خير الامة والعمل لما يصلحها ويرقيها آمين اللهم آمين

ووافق الفراغ من هذه الرسالة ضحى يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة عام الف وثلاثمائة وسبعة وعشرين من الهجرة النبوية والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

تقريظان

اطلع على هذه الرسالة شيخنا العلامة الفهامة الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة والسماحة الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر فتكرم بهذا التقريظ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فقد اطلعت على هذه الرسالة البديعة المسماة (تحذير الجمهور من شاهد الزور) تأليف الفاضل الاريب تلميذنا الالمعي الشيخ احمد عمر المحمصاني البيروتي الازهري فوجدتها قد جمعت فأوعت واشتملت على أجل ما يكتب في هـذا الموضوع شرعاً

وعقلاً ولقد نهج بها منهجاً قوياً مؤثرا نفع الله بها نفعا عميا مؤزرا
وجزاه عن عمله خير الجزاء وفتح عليه فتوح العارفين به آمين اللهم
آمين   في ١٦ ذي الحجه سنة ١٣٢٧

شيخ الجامع الازهر

سليم البشري   (الختم)

ثم اطلع عليها شيخنا العلامة الشيخ محمد موسى البجيرمي شيخ
السادة الشافعية بالازهر فكتب بخطه مانصه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه
« اما بعد » فقد تصفحت هذه الرسالة الجميلة فوجدتها فريدة في بابها
تستحق من المدح فوق ما مدحها به شيخنا شيخ الجامع الازهر
نفع الله بها كل من اطلع عليها قراءة او سماعا واكثر من امثال
مؤلفها نفع الله به المسلمين وجزاه خيراً في نصيحته للمؤمنين آمين
في ١٦ ذي الحجه سنة ١٣٢٧   كتبه العبد الفقير

محمد موسى البجيرمي

الشافعي بالازهر

